

مقياس : ميادين علم اجتماع

محاضرات موجهة لطلبة سنة ثانية

تخصص علم اجتماع

الأستاذة الدكتورة : هدى بلقماري

## المحاضرة الأولى

-تعريف علم اجتماع الجريمة :

يعتبر كل من "سندرلاند" و"سلن" من أوائل علماء الاجتماع الذين أشاروا إلى ضرورة تحديد معنى الجريمة على اعتبار أن القانون حسب فهمهم إنما يحدد أنواع الجرائم ويفصل بينها بناء على فصله فيما بين مختلف فروع القانون (كالقانون الاداري والقانون المدني والتجاري وقانون العقوبات) فصلا أقل ما يمكن أن يقال عنه فصل غير مناسب ولا يتماشى وتطلعات العدالة الاجتماعية.<sup>1</sup>

ويرى "سلن" أن العنصر الأساسي في التمييز بين المجرم وغير المجرم درجة حساسية كل منهما وتعاطفه مع أفكار ومعتقدات الجماعة التي ينتمي إليها , ومقدار اذاعته لضغوطاتها بناء على الايمان بمعتقداتها وما يعنيه كل ذلك بالنسبة لعواطف الفرد ومشاعره الخاصة, وهكذا فإنه كلما كانت مشاعر وانتماءات الشخص ضعيفة وكلما ازدادت هذه المشاعر سلبية نحو الأنماط السلوكية للجماعة كلما ازدادت

---

<sup>1</sup>د. جمال معتوق , مدخل إلى علم اجتماع الجنائي , ج 1 , دار بيم مرابط للنشر والطباعة , الجزائر , 2008 ,

احتمالات مخالفته له . والجريمة عند "أميل دوركايرم" هي كل فعل أو امتناع يتعارض مع القيم والأفكار التي استقرت في وجدان الجماعة.<sup>2</sup>

وعليه فإن الجريمة ليست ظاهرة انسانية فحسب وانما هي أساسا ظاهرة طبيعية وارتباط الجريمة بالمجتمع ارتباط طبيعي حينما كانت هناك حياة اجتماعية حتى ولو كانت في أبسط صورها توجد جريمة أي عدوان شخص على آخر في عرضه أو ماله أو متاعه وتعرف الجريمة اجتماعيا بأنها رد فعل يخالف الشعور العام للجماعة وأنها أي فعل فردي أو جماعي يشكل خرقا لقواعد الضبط الاجتماعي التي أقرها المجتمع والذي يمكن التعبير عنه بمجموعة القيم والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع. ومن هنا فالتجريم يكون حكما قيما يصدر من الجماعة سواء عاقب عليها القانون أو لم يعاقب عليها . أي أن المعيار الاجتماعي هو الذي يحدد صفة السلوك الإجرامي.<sup>3</sup>

## -نظريات علم الاجتماع الجريمة والعقاب:

### 1. نظرية الاتجاه البيولوجي:

في منتصف القرن التاسع عشر ظهرت المدرسة الوضعية الايطالية تحت لواء مؤسسها الأول الطبيب الايطالي "السيزار لومبروز" وقد اتجهت هذه المدرسة إلى البحث عن أسباب الجريمة في التكوين الجسماني للمجرم فركزت كل إهتمامها في دراسة المجرمين من الناحيتين التشريحية و العضوية وكان لمبروزو أستاذا للطب الشرعي بجامعة تورين وعمل في خدمة الجيش الايطالي فترة من الزمن لاحظ خلالها انتشار الوشمات والرسوم القبيحة على أجسام الجنود المنحرفين بمقارنتهم بالجنود الأسوياء وقد دفعه هذا إلى دراسة الخصائص العضوية لمرض المجرمين،

<sup>2</sup>. جمال معنوق , مرجع سابق , ص 30.

<sup>3</sup> حسن اسماعيل عبيد , سوسيوولوجيا الجريمة , شركة ميدلات المحدودة , لندن , 1993 , ص 97.

وقد أرودها في كتاب وضعه سنة 1876 تحت عنوان "الإنسان المجرم". لاحظ "لومبروزو" من خلال أبحاثه وجود فوارق في السمات والملامح بين المجرمين وغير المجرمين، فالمجرم إنسان شاذ التكوين يلاحظ فقي ملامحه عدم انتظام جمجمته وأسنانه وضيق جبهته وضخامة فكيه وكثافة الشعر في رأسه وجسمه وطول أذنيه أو قصرهما، وفرطحة أنفه، وعدم استقامته وطول مفرط في أطرافه . وفي تشريحه لأحد المجرمين الخطرين ويدعي "فيللا" فقد لاحظ وجود غور في مؤخر جمجمته يشبه الغور الذي يوجد لدى الحيوانات الدنيا واستخلص من ذلك بأن الإنسان المجرم هو بدائي بطبعه وينتمي إلى عالم الإنسان وبالتالي لا يستطيع التكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه فتظهر تصرفاته بصورة شاذة وغير مألوفة بالنسبة إلى الآخرين . كما لاحظ "لومبروز" أي كثرة وجود الوشم على أجساد المجرمين وقد فسر ذلك بعدم اكتراثهم للألم، كما رأي في جرائمهم خاصة تلك التي تتعلق بالأشخاص والجنس ما يدل على غلاظة وجفاف طبعمهم وعدم الإحساس بالحياء . ورغم النتيجة التي توصل إليها لومبروزو" من اعتباره للإنسان المجرم بأنه طبع على الإجرام بالفطرة أو بالميلاد، فإنه عدل من نظريته وقسم المجرمين إلى طوائف مختلفة واعتبر أن المجرم بالفطرة أو بالمولد أخطرهم، كما أنه أرجع أسباب الإجرام إلى عوامل عديدة منها ما يتعلق بالتكوين الداخلي والخلل العقلي والاضطراب العاطفي، ومنها ما يتعلق بالبيئة لكنه رجح منه العوامل البيولوجية على دور البيئة التي تبقى بنظرة محدودة الأثر في حقل الإجرام<sup>4</sup>.

## 2. نظرية سيمون فرويد:

---

<sup>4</sup>بلقاسم سلاطينة وآخرون، الجريمة والمسألة السوسيوبيولوجية دراسة بأبعادها السوسيوثقافية والقانونية، جامعة منتوري قسنطينة، 2008، ص 58.

قاد سيمون فرويد توجهها عاما من داخل التيار البيولوجي وفي إطار المدرسة البيولوجية الحديثة ونحا به نحو دور التكوين النفسي بدل التكوين العضوي، كعامل من عوامل الإجرام في إطار نظرية التحليل النفسي.

ومن ثم اعتمد فرويد تقسيم النفس بحسب وظائفها إلى ثلاثة أقسام هي الذات، الأنا، الأنا العليا. أما الذات فهي مستقر لميول الفطرية والنزعات الغريزية والشهوات، وهي تسعى لتحقيق لذاتها دون اعتبار للقيم الاجتماعية وللضوابط التي تحكم سير الأمور لتوجهها في الاتجاه الصحيح . أما "الأنا" فهي بمثابة النفس العاقلة التي تعمل على كبح جماح " الذات وترويضها وإقامة الانسجام بين النزعات الغريزية وما يعد مقبولا اجتماعيا حتى تعد سلوكا ترضيه الجماعة لنفسها وترضي عنه الأنا العليا، فإذا لم تتمكن من ذلك عمدت إلى تصعيد النشاط الغريزي، أو إلى كبته في اللاشعور .

أما الأنا العليا فتعد بمثابة الضمير وتمثل المبادئ السامية وكل ما هو خير في الإنسان، وتراقب وتوجه الأنا وتمنحها قوة التروي والكبت وتحملها المسؤولية عن أي تقصير في أدوار وظيفتها .

وطبقا للوظائف المشار إليها فإن الجريمة تقع نتيجة عجز الأنا عن تكييف الميول والنزعات الغريزية باتجاه ينسجم مع التقاليد الاجتماعية السائدة أو عجزها عن التسامي بها أم كتبها في اللاشعور أو تقع الجريمة نتيجة التخلف الأنا العليا أو ضعف دورها في الرقابة والتوجيه والردع، وفي جميع هذه الأحوال فإن الذات تجد نفسها بدون رقيب فتنتطلق على هواها لتشبع حاجاتها بأية

وسيلة بما فيها السلوك الإجرامي، وفي حال انعدام الأنا العليا أو ضعفها فقد ترتكب بعض الجرائم وتستعيد الأنا العليا بعد قوتها أو وجودها فتقوم بتوجيه اللوم إلى

الأنا التي سمحت بهذا السلوك وهنا يتولد الشعور بالذنب لدى الشخص الذي قد يؤدي به ارتكاب الجريمة<sup>5</sup>.

### 3. نظرية دوركايم:

يعتبر "إيميل دوركايم" أن الجريمة ظاهرة طبيعية يجب قبولها على أنها تعبير له وظيفته، فهي موجودة في جميع المجتمعات في كل الأزمنة، لكنها تصير ظاهرة مرضية غير عادية فقط حينما ترتفع أو تنخفض عن المتوسط أو المعدل، ولا يمكن اعتبارها مرضية حينما لا تؤثر سلباً في المهام الوظيفية للمجتمع حيث أن الجريمة ليست عرضية وإنما هي من صفات المجتمع وتركيبه وثقافته، فالفرد يعتبر جزءاً من المجتمع لذلك فإن جنوحه وخروجه عن قواعد السلوك الجماعية لا يمثل ظاهرة مرضية شخصية وإنما يعتبر ذلك ناشئاً عن المجتمع مباشرة وعمما يتصف به من خصائص لذلك فإذا كانت الجريمة لازمة ولا تخرج عن المعدل المتوسط للمجتمع فإنها عادية وطبيعية بل وتعتبر علامة صحة المجتمع وسلامة نظمه ومؤسساته.

كما أن "دوركايم" استعمل مفهوم الأنومية أو المعيارية واعتبرها سبباً للانحراف الاجتماعي، وتعني حالة الأنومية حالة اللاقانون أو النظام الذي يجد الفرد نفسه فيها مع افتقاره إلى قاعدة أو معيار لسلوكه السوي مقارنة مع السلوك غير السوي وفي هذه الحالة غالباً ما تنتج عن الصراع أو التناقض الذي يعيشه الفرد في علاقته الاجتماعية. وخاصة الواجبات والمتطلبات اليومية للحياة، بحيث تكون هذه الحالة تعبيراً عن أزمة وحاجة العلاقات الاجتماعية للقيم التي تحفظ لها تناسقها ووظيفتها مما ينعكس على الفرد ويدفعه إلى العزلة ومعاداة مجتمعه أمام غياب معايير وقواعد تقوم بدور الضبط الاجتماعي ويؤكد "دوركايم" أن ضعف المجتمع وتهاونه في احتضان الفرد إليه بحيث أن هذا الأخير يصبح في حل من كل قيد اجتماعي أو

---

<sup>5</sup> نفس المرجع السابق، ص 67.

خضوع أو احترام لطقوسه ويعتقد أنه أصبح جزءا فوق العادة ولا شيء يلزمه نحو مجتمعه (ضعف الإكراه الاجتماعي فيستبيح ارتكاب الجرائم التي تصبح في نظره وسائل مشروعة لتحقيق ما عجز المجتمع عن توفيره له وهي الحاجيات الطبيعية التي بدونها لا يمكن للحياة أن تستقيم<sup>6</sup>).

#### 4. نظرية اللامعيارية عند "ميرتون Robert King Merton" وتفسير

##### الجريمة والانحراف :

إن الفكرة التي يعالجها ميرتون تنظر إلى الصراع بين الأهداف المحددة ثقافيا والمعايير النظامية باعتباره مصدرا لللامعيارية فالصراعات بين المعايير التي تتمسك بها جماعات فرعية مختلف توجد داخل المجتمع الواحد غالبا ما تتجم عن إعتناف شديد للمعايير أو امتثال شديد لها في كل جماعة فرعية. ولهذا الصراع بين القيم والمتفق عليها ثقافيا والمعوقات البنائية الاجتماعية القائمة أمام هذه القيم هو الذي يمارس الضغط نحو السلوك الانحرافي ويدمر النسق المعياري.

ويشير ميرتون إلى أنه حاول عند تفسير الانحراف عن المتطلبات النظامية , أن يوضح كيف أن بعض الانحرافات تعتبر نماذج سلوكية جديدة يمكن أن تنبثق عن الجماعات الفرعية وتكون متعارضة مع النماذج النظامية التي تفرضها جماعات أخرى كما يفرضها القانون , ولذلك فهو يرى أنه ربما يكون الخطأ أن يوصف عدم الامتثال لنظم معين بأنه سلوك انحرافي لأن عدم الامتثال ربما يمثل بداية لنموذج بديل جديد<sup>7</sup>.

<sup>6</sup>نظرية العوامل الاقتصادية في علم الإجرام، منتديات ستار تايمز، 19 مارس 2015، 22:28، ، <http://www.startimes.com/f.aspx?t=35293002>، 2019/10/16

<sup>7</sup>نجيب بوالماين ، مرجع سابق ، ص 85.

بالإضافة إلى هذا يمكن القول بأن ميرتون عالج موضوع الجريمة أو السلوك الجنائي في نظريته فإنه يرى أن المجتمع يؤكد على أهداف ثقافية بنائية من جهة , ومن جهة أخرى يضع الوسائل المقبولة والمشروعة لتحقيق أهداف المجتمع مثل التعليم والعمل وجمع الأموال , فهو يرى أن الهدف الأسمى في المجتمع الأمريكي هو المال , وبالتالي فإنه سلوك لا يحترم هذه القيمة وهو سلوك منحرف , وعندما يواجه الشخص ضغوط البناء الاجتماعي وضغوط النجاح وتحقيق الأهداف تظهر مرحلة الأنوميا .

ويرى ميرتون أن الظروف الاجتماعية تضع ضغوط متباينة على الأفراد تبعاً للبناء الاجتماعي , وبما أن الأفراد يحتلون مواقع متباينة أيضاً فلا بد أن يتكيفوا أو ينسجموا بشكل مختلف , أما فيما يتعلق بالرغبات التي تحدث عنها دوركايم فيجد ميرتون أنها ذات منشئ اجتماعي.<sup>8</sup>

---

<sup>8</sup>نجيب بوالماين , مرجع سابق , ص 86.

## خلاصة :

تنوعت التغييرات تبعا لتعدد المجتمعات وكذلك تتعدد الاتجاهات المنطلقات لما تتميز به الظاهرة الاجرامية من خصوصية لكل مجتمع زيادة على ذلك بعض العمومية في الأسباب وأهمية هذا الاختلاف في دراسة ظاهرة الجريمة يدل على اهتمام كل الدول نتيجة لما تشكله الظاهرة من خطورة على المستوى الاجتماعي.

نوقشت الجريمة من منطلقات فكرية ومدرسية واتجاهات نظرية متباينة ومختلفة ويرجع أهمية هذا التنوع ليس في حاجة إلى اثبات فهو يعطي فكرة عن مختلف الاتجاهات مما يتيح لنا فرصة مقابل هذه التيارات في تناولنا للنظريات السوسولوجية التي عالجت الجريمة والعقاب كما اهتمت بها مختلف العلوم الانسانية, القانون بدرجة أولى وعالم النفس والانتروبولوجيا وتدخل اختصاص كل منهما.